«لَعَلَّكَ تُرْزَقُ بِهِ»، رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ. «يَحْتَرِفُ»: يَكْتَسِبُ وَيَتَسَبَّبُ[١].

٨ ــ باب: في الاستقامة

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى[٢]: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾.

في انفراده بالاحتراف، وترك أخيه الأسباب (**فلعلك ترزق به**) أي فلعل قيامك بأمره سبب لتيسير رزقك؛ لأن الله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، وفي الحديث أيضا: «وهل ترزقون أو قال تنصرون إلا بضعفائكم» وفي تنبيه على أن من انقطع إلى الله، واكتفى بتدبيره عن تدبير نفسه، وسكن تحت جري مقاديره كفاه مهماته، وفي الحديث تكفل الله لطالب العلم بالرزق، أي بتيسير وصوله إليه لما خرج عن حاجة نفسه، وأقبل على باب مولاه، واكتفى به عن أفعال نفسه وإلا فما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها. (**رواه الترمذي بإسناد**) هو رجال الطريق الموصلة إلى المتن (**على شرط مسلم**) أي أنهم روى عنهم مسلم في صحيحه، وهذا هو المراد بقولهم على شرط الشيخين مثلاً. (**يحترف**) المذكور في الخبر معناه (**يكتسب ويتسبب**) أي يتعاطى الأسباب التي أبرزتها الحكمة ستراً للتصرفات الإلٓهية...

باب الاستقامة

في مفردات الراغب استقامة الإنسان لزومه للمنهج المستقيم، نحو ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا﴾[٣] اهـ. وقال بعض العارفين: مرجع الاستقامة إلى أمرين صحة الإيمان بالله، واتباع ما جاء به رسول الله ﷺ ظاهراً وباطناً، وقال عمر رضي الله عنه: الاستقامة أن تقوم على الأمر والنهي، ولا تروغ عنه روغان الثعلب (**قال الله تعالى: فاستقم كما أمرت**) الخطاب فيه للنبي ﷺ يعني: فاستقم يا محمد على دين ربك والعمل به، والدعاء إليه كما أمرك ربك، والأمر فيه للتأكيد؛ لأن النبي ﷺ كان على الاستقامة لم يزل

---

(١) سورة هود، الآية: ١١٢.

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب: الزهد، باب: في التوكل على الله. (الحديث: ٢٣٤٥).

(٣) سورة فصلت، الآية: ٣٠.

obeikandl.com

وَقَالَ تَعَالَى[١]: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾.

وَقَالَ تَعَالَى[٢]: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

عنها. فهو كقولك للقائم: قم حتى آتيك أي دم على ما أنت عليه من القيام حتى آتيك. وفي تفسير القرطبي أن الذي شيبه ﷺ من سورة هود قوله: ﴿فاستقم كما أمرت﴾[٣] وقال: روي عن عبد الرحمن السلمي قال: سمعت أبا علي الشنوي يقول: رأيت النبي ﷺ في المنام، فقلت: يا رسول الله روي عنك أنك قلت شيبتني هود. فقال: نعم فقلت له: ما الذي شيبك منها قصص الأنبياء وهلاك الأمم قال: لا ولكن قوله: ﴿فاستقم كما أمرت﴾[٣] اهـ (وقال تعالى: أن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) على التوحيد وغيره مما وجب عليهم (**تتنزل عليهم الملائكة**) عند الموت (أن) أي أو بأن (**لا تخافوا**) من الموت، وما بعده (**ولا تحزنوا**) على ما خلفتم من أهل وولد، فنحن نخلفكم فيهم (**وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا**) أي حفظتكم (**وفي الآخرة**) أي نكون معكم فيها حتى تدخلوا الجنة. (**ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم**) قيل: في إضافتها إليهم إشارة إلى تنعم أنفسهم التي ذاقت المرارة في الدنيا، وانظر إلى تشتهي وإلى قوله تدعون في قوله: (**ولكم فيها ما تدَّعون**) أي تطلبون فإن فيه إشارة إلى تفاوت المراتب، ولا يخفى أن ذلك مما تذهب فيه النفس كل مذهب. (**نزلا**) رزقاً مهيأً منصوب بجعل مقدراً (**من غفور رحيم**) وهو الله تعالى، وإذا كان هذا النزل، وهو الكرامة المعجلة فكيف بالمؤجلة رزقنا الله اتباع الكتاب والسنة، وختم لنا بالحسنى بمنه آمين.

(**وقال تعالى: إن الذين قالوا ربنا الله**) أي آمنوا به ووحدوه (**ثم استقاموا**) اعتدلوا على ذلك، وداموا عليه إلى أن يتوفاهم الله عليه، والمراد الاستقامة على التوحيد الكامل، واتباع الكتاب والسنة (**فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون أولئك أصحاب الجنة**) بفضل الله تعالى،

---

(١) سورة فُصِّلت، الآيات: ٣٠، ٣١، ٣٢.
(٢) سورة الأحقاف، الآيتان: ١٣، ١٤.
(٣) سورة هود، الآية: ١١٢.

obeikandl.com

٨٥ ـ وَعَنْ أَبِي عَمْرٍو. وَقِيلَ: أَبِي عَمْرَةَ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَداً غَيْرَكَ، قَالَ: «قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ ثُمَّ ٱسْتَقِمْ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ(١).

٨٦ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَارِبُوا، وَسَدِّدُوا، وَٱعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يَنْجُوَ أَحَدٌ مِنْكُمْ بِعَمَلِهِ»، قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

قال ﷺ: «**لن يدخل أحدكم الجنة بعمله**» الحديث (**خالدين فيها**) حال مقدرة (**جزاء**) **منصوب على المصدرية بفعله المقدر، أي** يجزون جزاء (**بما كان يعملون**).

٨٥ ـ (**وعن أبي عمرو**) **بفتح العين المهملة** (**وقيل: أبي عمرة**) بزيادة تاء في آخره (**سفيان**) بضم السين **على الأفصح، وهو بتثليث** السين (**ابن عبد الله الثقفي رضي الله عنه**) **معدود** من أهل الطائف **كان عاملاً عليه لعمر حين عزل** عنه عثمان بن أبي العاص، ونقله إلى البحرين روى له مسلم **هذا الحديث والترمذي والنسائي** وابن ماجه (**قال: قلت: يا رسول الله قل لي في الإسلام**) **أي في دينه وشريعته** (**قولاً**) جامعاً لمعاني الدين واضحاً في نفسه بحيث لا يحتاج إلى تفسير **غيرك**. أعمل عليه وأكتفي به بحيث (**لا أسأل**) أي لا يحوجني لما اشتمل عليه من بديع الإحاطة والشمول ونهاية الإيضاح، والظهور إلى أن أسأل (**عنه أحداً غيرك**(٢) **قال: قل**: آمنت بالله) أي جدد إيمانك متذكراً بقلبك ذاكراً بلسانك مستحضراً تفاصيل معاني الإيمان الشرعي التي مرت في حديث جبريل (**ثم استقم على عمل الطاعات والانتهاء عن جميع المخالفات**) إذ لا تتأتى الاستقامة مع شيء من الاعوجاج فإنها ضده، والحديث على وفاق الآية قبله (**رواه مسلم**) وأخرجه أحمد، والدارمي، وابن حبان في صحيحه والطبراني في الكبير والضياء في المختارة(٣)، والحاكم في مستدركه والبيهقي في شعب الإيمان والخرائطي في مكارم الأخلاق وغيرهم قال المصنف: هذا أحد الأحاديث التي عليها مدار الإسلام.

٨٦ ـ (**وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قاربوا وسددوا واعلموا أنه**) أي: الشأن (**لن ينجو أحد منكم من الله بعمله قالوا: ولا أنت**) أي: ولا تنجو بعملك

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: جامع أوصاف الإسلام. (الحديث: ٦٢).

(٢) هذه الأوصاف للقول يومي إليها تنوين قولاً فإنه للتعظيم.

(٣) اسم كتاب.

قَالَ: «وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ» . . . .

فحذف الفعل. فانفصل الضمير، ويحتمل أن يكون ولا أنت ناج بعملك فيكون مبتدأ محذوف الخبر (**قال: ولا أنا**) أي: ولا أنجو، أو ولا أنا ناج بالعمل (**إلا أن يتغمدني**) أي: يغمرني (**الله برحمة منه وفضل**) ويلبسنيها ويغمرني بها ومنه غمدت السيف وأغمدته أي جعلته في غمده، وسترته به. قال المصنف في شرح مسلم: مذهب أهل السنة أنه لا يثبت بالعقل ثواب، ولا عقاب، ولا حكم شرعي، ولا يثبت ذلك كله إلا بالشرع، ومذهبهم إن الله تعالى لا يجب عليه شيء بل الدنيا والآخرة ملكه يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد فلو عذب المطيعين جميعهم وأدخلهم النار لكان عدلاً منه، ولو نعم الكافرين وأدخلهم الجنة كان له ذلك ولكنه أخبر، وخبره صدق أنه لا يفعل هذا بل يغفر للمؤمنين، ويدخلهم الجنة برحمته ويعذب الكافرين ويدخلهم النار عدلاً منه. وفي هذا الحديث دليل ظاهر لما قلناه من أنه لا يستحق أحد الثواب والجنة بطاعته. وأما قوله تعالى: ﴿ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون﴾[1] ونحوها من الآيات الدالة على أن الأعمال يدخل بها الجنة فهي لا تعارض هذه الأحاديث بل معنى الآيات أن دخول الجنة بسبب الأعمال ثم التوفيق للأعمال والهداية للإخلاص فيها وقبولها برحمة الله، وفضله فصح أنه لم يدخل الجنة أحد بمجرد العمل، وهو مراد الأحاديث. ويصح أن يقال: إنه دخل بالأعمال المسببة عن الفضل أي: بسببها وهي من الرحمة ا هـ. ملخصاً وأشار العارف بالله تعالى ابن أبي جمرة إلى جواب آخر حاصله أن الأعمال أسباب عادية كسائر الأسباب التي هي من مقتضيات الحكمة، ولا تأثير لها في دخول الجنة فالنفي باعتبار التأثير بمعنى أن الذي يؤثر في دخول الجنة في الحقيقة إنما هو الله تعالى لا الأعمال فإنما هي مجرد أسباب صورية اقتضتها الحكمة الإلٓهية والإسناد إليها تارة باعتبار أنها سبب صوري وسيأتي في باب بيان طرق الخير أجوبة أخرى. قال ابن أبي جمرة: وفي الحديث دلالة على أنه ليس أحد من الخلق يقدر على توفية حق الربوبية على ما يجب لها، يؤخذ ذلك من قوله: «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته» فإذا كان هو، وهو خير البشر، وصاحب المقامات العلا لا يقدر على ذلك فالغير أحرى وأولى، وإذا تأملت ذلك من جهة النظر تجده مدركاً حقيقة لأنه إذا طالبنا بشكر النعم التي أنعم علينا عجزنا عنه بالقطع ومنها ما لانعرفه كما قال: ﴿وإن تعدوا نعمت الله لا تحصوها﴾[2] فكيف غير ذلك من أنواع التكليفات فما بقي إلا ما أخبر به الصادق وهو التغمد بالفضل والرحمة. . (**رواه مسلم**

---

(١) سورة النحل، الآية: ٣٢.

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٣٤.

رَوَاهُ مُسْلِمٌ. وَ«الْمُقَارَبَةُ»: الْقَصْدُ الَّذِي لاَ غُلُوَّ فِيهِ وَلاَ تَقْصِيرَ. وَ«السَّدَادُ»: الاسْتِقَامَةُ وَالْإِصَابَةُ. وَ«يَتَغَمَّدَنِي»: يُلْبِسُنِي وَيَسْتُرُنِي. قَالَ الْعُلَمَاءُ: مَعْنَى الاسْتِقَامَةِ: لُزُومُ طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى. قَالُوا: وَهِيَ مِنْ جَوَامِعِ الْكَلِمِ، وَهِيَ نِظَامُ الْأُمُورِ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ(١).

٩ ــ باب: في التفكير في عظيم مخلوقات الله تعالى وفناء الدنيا وأهوال الآخرة وسائر أمورهما وتقصير النفس وتهذيبها وحملها على الاستقامة

والمقاربة قصد الذي لا غلو فيه) أي: مجاوزة المأمور به والزيادة فيه **(ولا تقصير)** أي: إخلال بشيء منه **(والسداد)** بفتح الأولى **(الاستقامة والإصابة)** قال بعضهم: السداد هو الإصابة في الأقوال والأعمال والمقاصد. والإصابة في جميعها هي الاستقامة **(ويتغمدني يلبسني ويسترني)** هو مثل يتغمدني في التعدي بالباء وإن كان لا يلزم من ترادف معنى الفعلين توافقهما في الاستعمال والصلة(٢) كصلى فإنه بمعنى دعا ومع هذا فالأول يعدى بعلى في الخير، والثاني لا يعدى بها إلا في الشر **(قال العلماء: معنى الاستقامة)** المطلوبة الممدوحة بالكتاب والسنة **(لزوم طاعة الله تعالى)** ويلزم من ذلك ترك منهياته **(قالوا:)** أي: العلماء **(وهي من جوامع الكلم)** هو أن يكون اللفظ قليلاً والمعنى جزيلاً، وهو ما أعطيه ﷺ **(وهي)** أي: الاستقامة **(نظام الأمور)** قال بعض العلماء: الاستقامة هي الدرجة القصوى التي بها كمال المعارف والأحوال. وصفاء القلوب في الأعمال، وتنزيه العقائد عن سفاسف البدع والضلال قال الاستاذ أبو القاسم القشيري: من لم يكن مستقيماً في حاله ضاع عمله، وخاب جده، ونقل أنه لا يستطيعها إلا الأكابر لأنها الخروج عن المألوفات، ومفارقة الرسوم والعادات والقيام بين يدي الله تعالى على حقيقة الصدق، ولعزتها أخبر ﷺ أن الناس لن يطيقوها، فقد أخرج أحمد استقيموا ولن تطيقوا.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: صفات المنافقين وأحكامهم، باب: لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمة الله تعالى. (الحديث: ٧١).

(٢) أي الحرف الذي يتعدى به ويتوصل به إلى المعمول اهـ.